الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته – دراسةٌ بلاغيةٌ

دكتورة/ شيخة بنت محمد بن صالح الجعيدي
الأستاذ المساعد في البلاغة والنقد في قسم اللغة العربية وآدابها
كلية التربية– جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

الملخص:
هدف البحث إلى دراسة اللطائف والأسرار البلاغية في الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ومُوافَقاته، مع التركيز على الأبعاد الدلالية والحجاجية لهذه الآيات، وكيفية إسهام البلاغة في الكشف عن الدلالة المقامية وإثراء المعنى. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء الآيات المتعلقة بموضوع الدراسة وتحليلها تحليلًا بلاغيًا. تناول البحث الآيات الأولى من سورة الحجرات النازلة في شأن عمر، والمواضع الخمسة التي وافق فيها رأي عمر القرآن الكريم، وهي: الحجاب، والصلاة عند مقام إبراهيم، وقضية أسارى بدر، وعدم الصلاة على زعيم المنافقين، وتحذير أمهات المؤمنين من الغِيرَة المُفرِطة. كشف البحث عن عدة نتائج، أهمها: أن الأساليب البلاغية جاءت لمقاصد يتطلبها السياق وليست لذاتها؛ وأن علم المعاني تكشف بصورة جلية في هذه الآيات؛ ووجود تناسق وتناغم بين الصور البلاغية والدلالات المعنوية؛ واستخدام الطباق والمقابلة والاستعارة والكناية بشكل بديع يخدم المعنى؛ وبروز أسلوب التقديم والتأخير لتحقيق غايات بلاغية متنوعة؛ وأن مواضيع الآيات تعكس سداد رأي عمر وفطنته؛ وتنوع مناقبه الدينية والسياسية والاجتماعية؛ وظهور القيمة الحجاجية والبعد الفكري في الآيات الموافقة لرأيه؛ والتآزر بين البلاغة والسياق المقامي في إثراء المعنى. يوصي البحث بتناول أسباب النزول بمزيد من الدراسات البلاغية؛ والاهتمام بجوانب الإعجاز القرآني

الكلمات المفتاحية: الآيات، البلاغة، القرآنية، عمر بن الخطاب، مُوافَقات.

ABSTRACT:

This research paper aims to examine the rhetorical subtleties and secrets in the Quranic verses revealed about Omar Ibn Al-Khattab and his approvals, focusing on the semantic and argumentative dimensions of these verses, and how rhetoric contributed to revealing contextual significance and enriching meaning. The researcher used descriptive-analytical methodology, which involved rhetorical examination of relevant scripture passages. The initial verses of Surat Al-Hujurat initially exposed Omar, and the Quran later supported his opinions in five cases regarding hijab (veiling) and the prayer location, the Badr prisoner situation, the choice to refrain from praying for the hypocrites' leader, and his warning to mothers about excessive jealousy. The research revealed several findings, primarily: rhetorical devices served contextual purposes rather than existing for their own sake; semantics manifested clearly in these verses; harmonious coordination between rhetorical imagery and semantic connotations; masterful employment of antithesis, juxtaposition, metaphor, and metonymy serving meaning; prominence of foregrounding and backgrounding to achieve diverse rhetorical purposes; verses reflecting Omar's sound judgment and insight; diversity in his religious, political, and social virtues; emergence of argumentative value and intellectual dimension in verses aligning with his opinion; and synergy between rhetoric and contextual significance in enriching meaning. An investigation of divine revelation requires advanced rhetorical analysis as well as exploration of Quranic miraculous characteristics.

Keywords: Verses، Rhetoric، Quranic، Omer ibn al-Khattab، Agreements.

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلاله، والصلاة والسلام على رسول الله: محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعدُ:

موضوع البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة بلاغية للآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ومُوافَقاته للقرآن الكريم، مع التركيز على الأبعاد الدلالية والحجاجية لهذه الآيات، وبيان دور البلاغة في الكشف عن الدلالة المقامية وإثراء المعنى، وتوضيح البعد الفكري لمضمون هذه الآيات واتجاهها.

أهمية البحث:

الوقوف على الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته، ودراستها دراسةً بلاغيةً.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول السؤال الآتي: ما اللطائف والأسرار البلاغية في الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته ؟

ويتفرع عن هذا السؤال العديد من الأسئلة منها:

١- ما المقصود بالموافقات؟

٢- ما الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ومُوافَقاته؟

٣- ما الأسرار واللطائف البلاغية في الآيات النازلة في عمر بن الخطاب؟

٤- ما الأسرار واللطائف البلاغية في مُوافَقات عمر بن الخطاب؟"

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١-حصر الآيات النازلة في عمر بن الخطاب وموافقاته.

٢- الكشف عن اللطائف البلاغية في الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب.

٣-بيان الجمال البلاغي والأسلوبي في مُوافَقات عمر للقرآن ومدى تمكنه من ناصية البلاغة.

٤-تحليل البعد الدلالي والحجاجي في الآيات المُوافقة لرأي عمر بن الخطاب.

٥-توضيح كيف أسهمت البلاغة في الكشف عن الدلالة المقامية للآيات وأثرها في إثراء المعنى.

٦-بيان البعد الفكري لمضمون هذه الآيات وتوجهها ودورها في إثراء الفكر الإسلامي.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في دراسة بلاغة المواضع التي نزلت فيها آياتٌ في شأن عمر بن الخطاب ﷺ، وهي ما ورد في نزول أول سورة الحجرات، والآيات التي وافق فيها عمرُ بنُ الخطاب ﷺ القرآنَ الكريمَ، وهي خمسة مواضعَ: الحجاب، والصلاة عند مقام إبراهيم، وقضية أسارى بدر، وعدم الصلاة على زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول، وتحذير أمهات المؤمنين من الغِيرَة المُفرِطة على رسول الله ﷺ[1].

منهج البحث:

اقْتَفَيْتُ في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي ودراسة ما يتعلق بهذه الآيات دراسةً بلاغيةً تحليليةً، وقد تم استقراء كتب أسباب النزول، وكتب السُّنة، وكتب علوم القرآن، وكتب التفسير، واستخراج الروايات المتعلقة بما نزل في عمر بن الخطاب ﷺ من قِبَل الباحثة الدكتورة: أسماء محمد العجلان، في بحثها المَوْسُوم: **الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته– جمعًا ودراسةً.**

خطة البحث:

وتتضمن: مقدمةً، وتمهيدًا، ومبحثَين، وخاتمةً، وفهرسًا علميًا، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: **أهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.**

أولًا: التمهيد: ويشمل ما يأتي من الدراسة النظرية:

١–المراد بأسباب النزول.

٢–المراد بالموافقات

٣–ذِكر الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته.

ثانيًا: الدراسة التطبيقية، وفيها مبحثان:

المبحث الأول: بلاغة الآيات النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ.

المبحث الثاني: البلاغة في مُوافَقات عمر بن الخطاب ﷺ للقرآن.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

(١) ينظر: أسماء محمد العجلان، الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ وموافقاته، مجلة تعظيم الوحيين، العدد الرابع عشر، رجب ١٤٤٥هـ، ص٢١٦.

الدراسات السابقة:

لم تجد الباحثة ــ في حدود علمها، وبعد البحث والاستفسار والبحث في الشبكة العنكبوتية ــ من كتب في هذا الموضوع من ناحية بلاغية، ولكن هناك بعض الكتب التي تناولت هذا الموضوع من بعض الجوانب، ومنها:

١-الموافقات العُمَرية في القرآن الكريم، لابن الشحنة محمد بن محمد الحلبي الحنفي، محب الدين (ت:٨١٥هـ)، ورقة واحدة، ومصدرها: المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٨٢٧٥).

٢-نفائس الدُّرَر في مُوافَقات سيدنا عمر، لتقي الدين أبي بكر بن زيد بن أبي بكر الجراعي الدمشقي الصالحي (ت:٨٨٣هـ)، تحقيق: عبد الجواد حمام، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٣-نزهة ذوي الألباب فيما وافق به ربَّه عمرُ بن الخطاب ﷺ، لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي (ت:٩٣٧هـ)، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٤-نظم الدُّرَر في مُوافَقات عمر بن الخطاب ﷺ، لبدر الدين أبي البركات محمد بن محمد العامري (ت:٩٨٤هـ)، تحقيق: عبد الجواد حمام، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٥-اقْتِطاف الثمر في مُوافَقات عمر، لعبد الباقي بن عبد الباقي البعلي الدمشقي ابن البدر الخطيب (ت:١٠٧١هـ).

٦-الدُّرُّ المُسْتَطاب في مُوافَقات عمر بن الخطاب وأبي بكر وعلي أبي تراب وترجمتهم مع عدد من الأصحاب، لحامد بن علي بن إبراهيم الدمشقي العمادي (ت:١١٧١هـ)، تحقيق: مصطفى عثمان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

وكل هذه الدراسات لا تتقاطع مع البحث المُعَنْوَن بـ**(الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته، دراسةٌ بلاغيةٌ)** بسبب تفاوت الأهداف بين هذه الدراسة والدراسات الأخرى؛ فبعض الدراسات تهدف إلى جمْع الآيات النازلة في الصحابة بصورة عامة، أو تحليلها تحليلًا تفسيريًا، أو تتحدث عن مُوافَقات عمر ﷺ وما وراءها من دروس مستفادة، إلى غير ذلك من الأهداف التي لم تجعل التحليلَ البلاغيَّ في الآيات النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته هدفًا جوهريًا، وإن وُجدت فائدة بلاغية في بعض الدراسات فإنها تأتي عَرَضًا وليست بصورة رئيسة.

وأخيرًا: أسأل الله -تعالى- أن يجزي عني خيرًا مَن أعانني بجهد أو نصيحة أو دعاء، سائلةً المولى أن يَمُنَّ عليَّ بالصواب، ويجعله من العلم النافع المُنتفَع به في الدارَين، إنه وليُّ ذلك، والقادر عليه.

التمهيد:

١-المراد بأسباب النزول:

نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل على نبينا منجّمًا، وارتبط نزول بعض السور والآيات القرآنية بحادثة وقعت في زمن النبيﷺ أو سؤال وجّه إليه، فالنزول **لغةً:** يُطلَق على أمورٍ عدة، منها: الحلول، وهبوط الشيء ووقوعه، والترتيب، والمَنزِل، وما هُيِّئَ للضيف أن ينزل عليه(١).

وسبب النزول **اصطلاحًا:** "هو ما نزلت الآية أو الآيات مُتحدِّثةً عنه أو مُبَيِّنةً لحكمه أيامَ وقوعه"(٢).

٢- المراد بالموافقات:

قد يتوافق سبب نزول بعض السور أو الآيات مع رأي لبعض الصحابة أو لفظ نطق به أحدهم، وخصوصًا مع عمر بن الخطاب ﷺ وهو ما يُعرف بالموافقات.

فالموافقات "هي ما رأى الفاروق ﷺ فيها رأيًا، أو خطر على باله خاطر، فيأتي الوحي مُؤيِّدًا لرأيه"(٣).

قال السيوطي: " فيما أُنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة: هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه: مُوافَقات عمر، وقد أفردها بالتصنيف جماعةٌ"(٤).

٣- ذِكر الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته:

وتنقسم هذه الآيات إلى: المواضع التي نزلت فيها آيات في شأن عمر بن الخطاب ﷺ -وهي ما ورد في نزول أول سورة الحجرات- والآيات التي وافق فيها عمرُ بنُ الخطاب ﷺ القرآنَ الكريمَ، وهي خمسة مواضعَ، منها: الحجاب، والصلاة عند مقام إبراهيم، وقضية أُسارَى بدر، وعدم الصلاة على زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول، وتحذير أمهات المؤمنين من الغيرَة المُفرِطة على رسول الله ﷺ، وبيانها على النحو الآتي:

أ-ذِكر الآيات النازلة في عمر ﷺ:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾(٥).

(١) ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (مادة: نزل)، ج٥ص٤١٧.

(٢) محمد عبد العظيم الزُرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط:٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٤٣١هـ، ج١ص١٦٠.

(٣) العجلان، الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ وموافقاته، ص٢١٨.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٤، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ج١ص١٢٧.

(٥) الحجرات: ١.

سبب النزول:

هذه أولى الآيتين التي نزلت في وزيري النبيﷺ أبي بكر وعمر ﷺ بعد خلاف حصل بينهما في وفد بني تميم ومن هو أحق بالإمارة على ذلك الوفد، فقد قال البخاري في صحيحه:

"حدثني إبراهيم بن موسى: حدثنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي ملكية: أن عبد الله بن الزبير أخبرهم:

أنه قَدِمَ رَكْبٌ من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القَعْقاع بن معبد بن زُرارةَ، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتمَارَيا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾. حتى انْقَضَتْ"(١).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾(٢).

سبب النزول:

فقد نزلت هذه الآية في الاختلاف في شأن هذا الوفد–وفدبني تميم–فارتفعت أصوات الخَيِّران عند النبيﷺ فنزلت في شأنهما هذه الآية الكريمة، وجاء تفصيل ذلك في قول البخاري: "حدثنا يسرة بن صفوان بن جميا اللخمي: حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي ملكية قال: كاد الخَيِّران أن يهلكا: أبو بكر وعمر ﷺ، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قَدِم عليه رَكْبُ بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال: أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يَسْتَفْهِمَه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر"(٣).

ب–ذكر الآيات في مُوافَقات عمر بن الخطاب ﷺ للقرآن الكريم:

وفيها بيان المواضع التي وافق فيها عمرُ بن الخطاب ﷺ القرآنَ الكريمَ، وسأذكر الآية قيد الدراسة، ثم ما يدل على موافقتها لقول عمر بن الخطاب ﷺ:

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، ط٥، دمشق، دار ابن كثير ودار اليمامة، ١٤١٤هـ، ج٤ص١٥٨٧.
(٢) الحجرات: ٢.
(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٤ ص١٨٣٣.

الموضع الأول: الحجاب:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾(١).

دليل موافقتها لقول عمر بن الخطاب ﷺ:

ما أورده البخاري في صحيحه عن عائشة ﷺ حيث قال: "حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث قال: حدثنا عُقَيلٌ، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن أزواج النبي ﷺ كُنَّ يَخرُجْنَ بالليل إذاتَبرَّزْنَ إلى المَناصِع، وهو صعيدٌ أَفْلَحُ، فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احْجِب نساءَك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زَمْعَة –زوج النبي ﷺ– ليلةً من الليالي عِشاءً، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عَرفناك يا سودة؛ حرصًا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب"(٢).

يقول ابن كثير: "هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلُها قولَ عمر بن الخطاب ﷺ"(٣)، وهذه منقبة لعمر ﷺ على الصعيد الديني.

الموضع الثاني: الصلاة عند مقام إبراهيم:

﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗاۖ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٤).

دليل موافقتها لقول عمر بن الخطاب ﷺ:

ما جاء في سبب نزولها في صحيح البخاري، قال: "حدثنا عمرو بن عون قال: حدثنا هُشَيمٌ، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى، فأنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾(٥) وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يَحتَجِبْنَ؛ فإنه يكلمهنّ البَرُّ والفاجرُ، فنزلت آية

(١) الأحزاب: ٥٣-٥٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج١ص٦٧.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ج٦ص٣٩٩.

(٤) البقرة: ١٢٥.

(٥) البقرة: ١٢٥.

الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرَة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طَلقكُنّ أن يبدله أزواجًا خيرًا منكنّ، فأُنزلت هذه الآية"(١)، وهذه منقبة لعمر ﷺ على الصعيد الديني.

الموضع الثالث: تحذير أمهات المؤمنين من الغيرَة المُفرطة على رسول الله ﷺ:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (٢).

دليل موافقتها لقول عمر بن الخطاب ﷺ:

ما جاء في صحيح البخاري، قال: "حدثنا عمرو بن عون قال: حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلّى، فأُنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يَحتَجِبْنَ؛ فإنه يكلمهنّ البرّ والفاجرُ، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرَة عليه، فقلت لهنّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، فأُنزلت هذه الآية"(٣)، وهذه منقبة لعمر ﷺ على الصعيد الاجتماعي.

الموضع الرابع: قضية أُسارى بدر:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

دليل موافقتها لقول عمر بن الخطاب ﷺ:

ما جاء في سبب نزولها عن ابن عباس، قال: "... فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: (ما تَرَوْنَ في هؤلاء الأسارى؟) فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعَشيرَة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (ما ترى يا ابن الخطاب؟) قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمكّنّا فنضرب أعناقهم، فتمكّن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتُمكّنّي من فلان -نسيبًا لعُمرَ- فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدُها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يَهْوِ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ قاعدَين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيءٍ تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاءً

(١) البخاري، صحيح البخاري،ج١ص١٥٧.
(٢) التحريم: ٥.
(٣) البخاري، صحيح البخاري،ج١ص١٥٧.
(٤) الأنفال: ٦٧-٦٩.

بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تَباكَيْتُ لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة من نبي الله ﷺ- وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ (١) فأحل الله الغنيمة لهم"(٢)، وهذه منقبة لعمر ﷺ على الصعيد الديني والاجتماعي أيضًا.

الموضع الخامس: عدم الصلاة على زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾(٣).

دليل موافقتها لقول عمر بن الخطاب ﷺ:

ما جاء في سبب نزولها عن ابن عمر ﷺ: "أن عبد الله بن أُبَي لما تُوفِّي، جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفّنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفرْ له، فأعطاه النبي ﷺ قميصه، فقال: (آذِنّي أصلّي عليه) فآذنَه، فلما أراد أن يصلّي عليه جذبه عمر ﷺ، فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: (أنا بين خيرتَين، قال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾(٤) فصلى عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾(٥)"(٦)،وهذه منقبة لعمر على الصعيد الديني.

قال الرازي: "واعلم أن هذا يدل على مَنْقَبَةٍ عظيمةٍ من مَناقِب عمر ﷺ؛ وذلك لأن الوحي نزل على وَفق قوله"(٧).

(١) الأنفال: ٦٧-٦٩.

(٢) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ، ج٣ص١٣٨٣.

(٣) التوبة: ٨٤.

(٤) التوبة: ٨٠.

(٥) التوبة: ٨٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، ج١ص٤٢٧.

(٧) محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ج١٦ص١١٥.

المبحث الأول: بلاغة الآيات النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ:

يرمي هذا المبحث إلى بيان بلاغة الآيات النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ من خلال تحليل الآيات تحليلًا بلاغيًا، وقد ورد عدد من الروايات التي ذُكر فيها أنها نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ، ولكن لم يثبت إلا ما ورد في نزول أول سورة الحجرات[1]، وهذا هو محل الدراسة في هذا المبحث.

وفيما يأتي دراسة ما ورد في نزول أول سورة الحجرات من خلال موضعَين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[2].

التحليل البلاغي:

تضمّنت الآية الكريمة لفيفًا من الأساليب البلاغية الجمالية، فمن ذلك: افتتاح هذه الآية بنداء المؤمنين "للتنبيه على أهمية ما يرِد بعد ذلك النداء لتترقّبه أسماعهم بشوقٍ، ووصْفُهم بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جارٍ مَجْرى اللقب لهم، مع ما يُؤذِن به أصله من أهليّتِهم لتلقّي هذا النهي بالامتثال"[3].

تضمّنت الآية الكريمة مجموعة متنوعة من الأساليب البلاغية الجمالية، ومن ذلك: افتتاح هذه الآية بنداء المؤمنين للتنبيه على أهمية ما يَرِد بعد ذلك النداء، حتى تترقّبه أسماعهم بشوق. ويأتي وصْفُهم بـ﴿الّذِينَ آمَنُوا﴾ جارياً مَجْرى اللقب لهم، مع ما يُؤذِن به هذا الوصف من أهليّتِهم لتلقّي هذا النهي بالامتثال.

فالنداء قد توجّه للمؤمنين للتنبيه، وليستَنْهِض إيمانهم، ويَسْتَرْعِي أبصارهم لأمر جليل هو من مُتمّمات إيمانهم، ومن لوازمه[4].

وقد أَلِفَ المؤمن سماع الآيات والامتثال للأوامر التي يُنادَى فيها بلقبه، بعكس الخطاب العام الذي يدخل فيه المؤمن وغيره.

وطَيُّ ذِكر المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾: حيث جاء الفعل (تقدموا) في الآية الكريمة من غير ذِكر المفعول، وحُذِف المفعول هنا: "للتعميم؛ حتى ينصرف ذهن السامع إلى جميع ما يمكن تقديمه من قولٍ أو فعل.

---

(١) ينظر: العجلان، الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ وموافقاته، ص ٢١٨.

(٢) الحجرات: ١.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، ج٢٦ص٢١٥.

(٤) ينظر: ناصر بن عبد الرحمن الخنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٦هـ، ص٢٧٦.

وهذا أبلغ من تحديد المفعول في مثل هذا الموطن؛ فكل قول أو فعل يمكن للإنسان تقديمه بين يدي رسول الله ﷺ سيفكّر فيه، وفي عاقبة أمره؛ لأنه يدخل في النهي الوارد في الآية من طريق العموم(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إيماءٌ إلى قُبْح التقدم على أمرٍ بغير إذن الله ورسوله ﷺ، فجاءت هذه العبارة التي جرت على سنَنٍ من المجاز، "وهو الذي يسمّيه أهل البيان: تمثيلًا، أي: استعارة تمثيلية، شبّه تَعجُّل الصحابة في إقْدامهم على قطْع الحكم في أمر من أمور الدين بغير إذن الله ورسوله، بحالة مَن تَقدَّم بين يدي مَتبوعه إذا سار في طريق؛ فإنه في العادة مُستَهْجَنٌ، ثم استُعمل في جانب المشبه ما كان مُستعمَلًا في جانب المشبه به من الألفاظ، والغرض: تصوير كمال الهَجْنَة، وتَقبيح قطع الحكم بغير إذن الله ورسوله"(٢).

وهذه الصورة المروِّعة التي جاءت في هذا التعبير هي أول ما يستحضره المسلم عندما تحدّثه نفسه بالتقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، فتكون أبلغ في ردْع النفْس، وردِّ ما تهوى.

وفي موضع الآية ذاتها إظهارُ مَقام الإضْمار؛ فجاء الاسم الظاهر (الله) موضع الضمير؛ لأن أصل الكلام: لا تَقدّموا بين يدي رسول الله ﷺ، فذكر قبله اسم الله؛ "لإرادة تربية المهابة، وإدخال الرَّوْع على ضمير المتلقي"(٣).

وذِكرُ "الله" تعظيمًا للنبي ﷺ وإشعارًا يُنبِئ بأنه من الله بمكان يُوجِب إجلاله وحسن التأدب معه ﷺ(٤)؛ فمراد الله ﷻ يُعرف من قِبَل رسوله ﷺ، وعدم طاعة رسول الله والتّقْدمَة بين يديه هي مخالفةٌ لله ﷻ وتعرُّضٌ لسخطه وغضبه.

والمتأمل للسياق القرآني يجد ابتداء السورة في مطلع هاتين الآيتين بالنهي، النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله وهو ناشئ من عدم التعظيم، والنهي الثاني: رفع الصوت فوق صوت النبي، ولما كان هذا من أسبابه عدم التعظيم؛ لذا ناسب ذلك أن يبدأ بالنهي الأول ليمهد للسامع النهي عن رفع الصوت، وذكر عقيب نهيه الأول الأمر بالتقوى؛ ليعم بها اجتناب كل منهي عنه(٥).

---

(١) ينظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط١، دمشق– بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ، ج٥ ص٦٩.

(٢) محمد علي الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٣٠هـ، ج٩ص١٧٠.

(٣) عبد الرحمن بن حسن الميداني، *البلاغة العربية*، ط١، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٦هـ، ج٢ص١٠١.

(٤) عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت دار إحياء التراث العرب، ١٤١٨هـ، ج٥ص١٣٣.

(٥) ينظر: محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ج٩ص٥٠٧.

وقد جاء العطف في قوله تعالى: (واتقوا الله) بعد ما تقدَّم من النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله؛ ليفيد أمورًا ثلاثة:

أ-تَكملةً للنهي عن التقدم بين يدي الرسول ﷺ: فالتقدم بين يديه، وفعل أي شيء دون إذنه ليس من تقوى الله تعالى ومخافته [١].

ب-التعميم بعد التخصيص لإفادة أهمية ما قبله: فالأمر بتقوى الله يشمل النهي عن كل مخالفة ومنها النهي عن تقدم بين يدي الله ورسوله؛ ولكنه قدم النهي عن التقدم وهو أخص من التقوى؛ ليبين أهميته[٢].

ج-تشديد النهي عن الأمر المتقدم: ذلك أن الأمر بالتقوى وهو عام بعد خاص كما تقدم يقوى ويؤكد النهي الأول؛ إذ أن قُرْب الرسول ﷺ بينهم وتواضعه يجعل المتعامل معه يتقي مخالفته والتقدم بين يديه[٣] ، فالمؤمن المحقق للتقوى يمنعه ذلك من التقدمة بين يدي رسول الله؛ لأن التقوى تجعل صاحبها حذر في كل ما يقول ويعمل، يعلم تبعات ما يجنيه من تصرفاته [٤]، فيصعب بعد النهي والأمر بالتقوى محاولة التّقْدمَة بين يدَي الله ورسوله ﷺ؛ لما تقرر من معنى النهي المتقدم والأمر المتأخر.

وفي اصْطِفاء الاسمين من أسماء الله الحسنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثلاث لطائف:

أَوّلُها: تناسُبٌ مع السياق، وتأكيدٌ على ما سَلَفَ؛ "لأنهم قالوا: آمنا؛ لأن الخطاب يُفهم بقوله: يا أيها الذين آمنوا؛ فقد يسمع قولهم، ويعلم فعلهم، وما في قلوبهم من التقوى والخيانة، فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضمير قلبكم، بل ينبغي أن يتم ما في سمعه من قولكم: آمنا وسمعنا وأطعنا، وما في علمه من فعلكم الظاهر وهو عدم التقدم، وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى"[٥].

ثانيها: أنّ جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ جاءت "في موضع العلة للنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وللأمر بتقوى الله"[٦].

ثالثُها: اخْتِير اسم الله (العليم)؛ لأنه أعمُّ، ولأن ذِكره بين الصفتَين كنايةٌ عن التحذير من المخالفة؛ ففي ذلك تأكيد للنهي والأمر[٧].

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ج٢٦ص٢١٩.

(٢)ينظر: محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ط١، الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ هـ،ص١١.

(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٨ص٩٢.

(٤) ينظر محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، ط٣، القاهرة، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ، ج٤ص٣٥١.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٨ص٩٢.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦ص٢١٩.

(٧) ينظر: المرجع نفسه، ج٢٦ص٢١٩.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ (١).

التحليل البلاغي:

استخدم القرآن التكرار في مواطن كثيرة، وفي هذه السورة خصوصًا تكرّر النداء بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خمس مرات، وفي ذلك فائدة بلاغية لطيفة: "وهي إظهار الشفقة على المُسترشِد، وإبداء المَناصَحَة له على آكد وجه؛ ليُقبِل على استماع الكلام، ويُعِيره باله، ولتحديد المخاطبين بالذات، وأنهم هم المَعنيُّون بالمُناصَحَة؛ وفيه أيضًا: استدعاء لتجديد الاستِبْصار والتيقُّظ، والتنبه عند كل خطاب"(٢)، وإذا جمعنا إلى ذلك ما سبق النهي عنه في حضور النبي ﷺ، علمنا شأن هذا النداء الذي تكرر؛ ففيه "بيان الأدب مع النبي ﷺ لذاته في باب حسن المعاملة"(٣)؛ لأن المؤمن له تَعامُل خاص وأدب مع نبيه ﷺ.

وقد تكون الاستعارة سبيلًا مَيسورًا لتصوير الأدب مع النبي، وتذكير المؤمنين بذلك: ففي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾(٤): ففي هذه الآية استعارة مكنية؛ فالرفع مُستعارٌ لجهر الصوت جهرًا متجاوزًا لمعتاد الكلام؛ حيث "شبَّه جهر الصوت بإعلاء الجسم في أنه أشد بلوغًا إلى الأسماع كما أن إعلاء الجسم أوضح له في الإبصار؛ على طريقة الاستعارة المكنية، أو شبّه إلقاء الكلام بجهر قوي بإلقائه من مكان مرتفع كالمئذنة؛ على طريقة الاستعارة التبعية و(فوق صوت النبي) ترشيحٌ لاستعارة: لا ترفعوا، وهو فوق مجازي أيضًا"(٥)، وفي هذه الاستعارة إيماءةٌ إلى خفض الصوت عند النبي ﷺ بطريقة جمالية.

وفي أثناء الآيات من بدائع النّظْم وروائع التشبيه: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾: فجاء التشبيه في هذه الآية تشبيهًا مرسلًا مجملًا؛ لوجود أداة التشبيه(٦)، وعلى هذا: فالآية إخبار عن الجهر الذي سيُشَبَّه به حال جهر الصوت في حضور النبي ﷺ، ومِقدار الجهر؛ وهذه الآية كالتفسير والبيان لمقدار الجهر بالصوت؛ فالغرض من التشبيه في الآية: بيان مقدار الجهر في حق المشبه، وهذا من بدائع النظم، ورائع التشبيه.

---

(١) الحجرات: ٢.

(٢) ينظر: محيي الدين بن أحمد درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط٤، حمص، سورية، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ج٩ ص٢٦١ .

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦ص٢١٨.

(٤) الحجرات: ٢.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦ص٢١٩.

(٦) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، دمشق، سورية، دار الفكر، ١٤١١هـ ج٢٦ص٢١٥.

وهذا المعنى المذكور في الآية هو تفصيلٌ لما أُجْمِل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

ومما تضمّنته: الحكمة من وَصْف النبي ﷺ بالرسالة في الآية الأولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وبالنبوة في الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، ففي الآية الأولى وصفه بالرسالة لأن التقدم بين يديه هو تقدم على التشريع، وهو المبلّغ عن الله برسالته إلى الأمة، فكان الأليق وصفه بالرسالة، بخلاف الآية الثانية التي حوت أدبين كريمين أدّب بهما الرب عباده المؤمنين وهما: عدم رفع صوتهم فوق صوت النبي ﷺ، وكذلك عدم الجهر له بالقول، فلما أكرم الله نبيّنا بحسن تعامل المؤمنين له وصفه بالنبي تكريمًا لشخصه ﷺ[2].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فيه لطائف بلاغية:

١-أن قوله "أن تحبط" جاء في سياق التعليل لأول الآية، ذلك أن رفع الصوت والجهر بالقول يؤديان إلى حبوط الأعمال، فالنهي عن رفع الصوت فيه نوع تعال وترفع ألمح السياق إليه في قوله "فوق" وهو التعليل للنهي، أما النهي الثاني "ولا تجهروا" ففي قوله "كجهر بعضكم لبعض" بيان أن عدم تعظيم النبي ﷺ ومعاملته كأي فرد من المؤمنين منهي عنه، وهذان الأمران التعالي عليه وعدم تقديره يؤديان إلى ما تكرهونه من حبوط أعمالكم، ففي قوله " أن تحبط" "تعليل لما قبله من النهيَين؛ على طريق التنازع بتقدير مضاف، أي: كراهة أن تُحبط أعمالكم، والمعنى: إني أنهاكم عما ذُكر لكراهة حبوط أعمالكم بارتكابه أو تعليل للمنهي عنه، وهو الرفع والجهر بتقدير اللام، أي: لأن تُحبط، والمعنى: فعِلُكم ما ذِكر لأجل الحبوط منهيٌّ عنه، ولام التعليل المقدّرة مُستعارَة للعاقبة التي يؤدي إليها الفعل؛ لأن الرفع والجهر ليس لأجل الحبوط، لكنهما يؤدّيان إليه على ما تَعلّمه إن شاء الله تعالى، وفرقٌ بينهما بما حاصله أن الفعل المنهي مُعلّلٌ في الأول، والفعل المعلل منهي في الثاني، وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص الأداء إلى حبوط العمل[3].

٢-**في كلمة (الحبط):** استعارة مكنية حيث شبه عدم الانتفاع بالأعمال الصالحة بعد أن طرأ عليها المخالفة أو الكفر بحال البهائم التي تأكل العشب وفيه داء أو سم فما تلبث إلا بعد أن ترتع فيه حتى تنتفخ بطرنها وتهلك، وهو يوحي إلى التنفير عن هذا الفعل واشمئزاز

(١) ينظر: الحسن بن محمد النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ، ج٦ص١٥٧.

(٢) ينظر: عطية بن محمد سالم، تفسير سورة الحجرات، مصدر الكتاب: دروس صوتية فرّغها موقع الشبكة الإسلامية، ج١ص٩

(٣) ينظر: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ج١٣ص٢٨٨.

النفوس بما يؤدي إليه فهو " مأخوذٌ من حبطت الإبل: إذا أكلت الخضر، فنفخ بطونها، وتَعتـلٌ، وربما هلكت"(١).

٣-يَرِدُ تساؤلٌ عن سرِ مجيء (الأعمال) بصيغة الجمع في قولـه تعـالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾: يقول ابن عاشور جوابًا عن ذلك: "لأن الجمع المضاف مـن صـيغ العمـوم، ولا يكون حَبْط جميع الأعمال إلا في حالة الكفر؛ لأن الأعمال الإيمان؛ فمعنـى الآيـة: أن عـدم الاحْتِراز من سوء الأدب مع النبي ﷺ بعد هذا النهي، قد يُفضِي بفاعله إلى إثم عظـيم يـأتي على عظيم من صالحاته، أو يُفضِي به إلى الكفر"(٢).

وباستقراء أسلوب القرآن هنا، أجد أن دلالـة التأكيـد فـي قولـه تعـالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ تحمل معنىً عميقاً يتجاوز ظاهر اللفظ؛ فهي – كما يتراءى لـي – تنبـه إلـى الحـذر مـن ارتكـاب هـذه النـواهي بطريقـة تلامـس وجـدان المـؤمن. وأرى أن خطورة التمادي في المخالفة تكمن في جعلها عادة متأصلة في النفس لا تستـشعر خطورتهـا، وهذا ما قد يؤدي – في تحليلي – إلـى فقـدان الحـساسية تجـاه مـا يـؤدي إلـى سـخط الرب. ولست أرى أن المقصود هو فعل هذه النواهي في حال الغفلة التامة، إذ الغافل حقيقةً لا تكليف عليه، بل هو – في نظري – تحذير من التدرج الخفي في تبلـد الإحـساس بخطـورة المخالفة.

المبحث الثاني: البلاغة في مُوافَقات عمر بن الخطاب ﷺ للقرآن الكريم:

يهدف هذا المبحث إلى تحليل مُوافَقات عمر بن الخطاب للقرآن الكريم تحليلًـا بلاغيًـا، مع التركيز على الأبعاد الدلالية والحجاجية لهذه الآيات، وتوضيح كيف أسهمت البلاغـة فـي الكشف عن الدلالة المقامية لها، وبيان البعد الفكري لمضمونها وتوجهها. وقد اسـتقر البحـث على خمسة مواضعَ، وفيما يلي تفصيل ذلك:

البلاغة في مُوافَقات عمر بن الخطاب ﷺ للقرآن الكريم:

الموضع الأول: الحجاب:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦ص٢٢١.

(٢) المرجع نفسه، ج٢٦ص٢٢١.

رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[1].

التحليل البلاغي:

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾: استَهلّت الآية بكلامٍ مُستأنَفٍ مَسوقٍ "للشروع في بيان ما يجب على الناس من رعاية حقوق نساء النبي"[2]، فلا يدخلوا بيوت النبي بغير إذن إلا أن يُدعوا إلى دخولها؛ لأجل طعام يأكلونه فيها، فيُؤذَن لهم.

استوقفتني إضافة "البيوت" إلى "النبي" في قوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾، وتأملت فيها فوجدت سراً بلاغياً عميقاً؛ فالإضافة في اللغة العربية – كما أراها – تكون لأدنى ملابسة بين الشيئين، سواء كانت ملكية أو اختصاصية أو صحبة أو قرب. ومن خلال دراستي لأساليب القرآن، وجدت أن هذه القاعدة البلاغية المعروفة تتجلى بوضوح في هذا الموضع، لكن ينبغي – برأيي – التنبه إلى أن هناك ارتباطاً خاصاً بين المضاف والمضاف إليه. وأرى أن إضافة البيوت إلى النبي هنا باعتبارها مأواه، مع أنها في حقيقة الأمر ملك لزوجاته على القول الراجح. ولعل هذا الأسلوب القرآني يشير – فيما أستنتج – إلى أن هذه البيوت لها قدسية خاصة وحرمة مضاعفة ليس فقط لكونها بيوت أمهات المؤمنين، بل لانتسابها إلى النبي الكريم مما يضفي عليها تعظيماً خاصاً.

وفي قوله ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٤] أضاف (البيوت) إليهنّ، وكذلك في قوله في سورة الطلاق: ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]، فأضاف (البيوت) إليهنّ، وذلك أن الإضافة إليهن باعتبار أنهن الساكنات المنتفعات بها، وأما هنا فإن إضافتها إلى النبي مناسبةٌ للسياق من تعظيم النبي ﷺ، وشدة النهي الوارد في الآية؛ فهذه بيوت النبي ﷺ، فلا يَجْتَرِأ أحد على دخولها إلا بإذن.

ومن التصوير البياني من خلال الأسلوب الكنائي قوله: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ﴾؛ حيث كَنّى بالانتظار عن مُبادَرَة الحضور قبل الأَكْل، "ونُكْتَةُ هذه الكناية: تَشويه السبق بالحضور بجعله نهمًا وجشعًا، وإن كانوا قد يحضرون لغير ذلك، وبهذا تَعلَم أن ليس النهي متوجّهًا إلى صريح الانتظار"[3]، وفيه مراعاة للنبي ﷺ وعدم الإثقال عليه؛ لأنه كان يستحيي ﷺ من أصحابه لأدَبه وتواضُعه، ولمّا كان النهي بعدم الدخول وعدم الانتظار قد يُحزِن مَن يحب الدخول إلى

(١) الأحزاب: ٥٣-٥٤.

(٢) محيي الدين بن أحمد درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط٤، حمص، سورية، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ج٨ ص٤٠.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٨٣.

بيت النبي ﷺ لمحبته، جاء التعبير بصيغة الأمر أن ثَمَّة استثناء من هذا النهي، وهو دعوة النبي ﷺ لهم، والتعبير بصيغة الأمر "للندب؛ لأن إجابة الدعوة إلى الوليمة سُنةٌ، وتقييد النهي بقوله: (غير ناظرين إناه) للتنزيه؛ لأن الحضور قبل تهيُّؤ الطعام غير مقتضٍ للدعوة، ولا يتضمنه الإذن؛ فهو تَطَفُّلٌ"(١).

وفي قوله: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ لطائفُ بلاغيةٌ:

١- المَجاز: فالانتشار في اللغة إبداء ما كان مطويًا، فهو خلاف الطي تقول: نشر الثوب أي بسطه(٢)، ثم أطلقت هذه اللفظة مرادًا بها الخروج من البيت على سبيل المجاز (٣).

٢- الطباق: بين قوله: ﴿فَٱدۡخُلُواْ﴾ و﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾(٤)، فإذا دخلوا وأكلوا فليُسارِعوا بالخروج، والطباق فيه إبراز لمعنى الخروج بالانتشار فور الانتهاء من الطعام.

والعطف في قوله تعالى ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ﴾: "عطفٌ على (ناظرين) وما بينهما من الاستدراك، وما تفرع عليه اعتراضٌ بين المتعاطفَين، وزيادة حرف النفي قبل (مُسْتَأنِسين) لتأكيد النفي كما هو الغالب في العطف على المنفي"(٥)، وهذا فيه تشديد وتحذير من إيذاء النبي ﷺ بالاستِئْناس للحديث في حَضْرة النبي ﷺ؛ لأنه كان يستحيي من أضيافه مع شعوره بالإيذاء؛ فلذلك جاء العطف لتأكيد النفي لمناسبة المقام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ﴾، ومما يبدو من ظاهر النص القرآني أن هذه الآية استئنافٌ من الله ﷻ "للتحذير ودفْع الاغْترار بسكوت النبي ﷺ أن يحسبوه رَضِيَ بما فعلوا؛ فمَناطُ التحذير قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾؛ فإنَّ أذى النبي ﷺ مُقرِّر في نفوسهم أنه عمل مذموم؛ لأن النبي ﷺ أعزُّ خلقٍ في نفوس المؤمنين، وذلك يقتضي التحرُّز مما يؤذيه أدنى أذًى"(٦)، وعلى هذا: فلا يرضَ مؤمن أن يتأذّى النبي ﷺ، ولا يستحِل أحد لنفسه إيذاء النبي ﷺ؛ لأنه لم يتكلم فيُحسب الرِّضا بفعله، بل ليكن على بصيرة من أن أفعاله تؤذي النبي ﷺ وإن سكت، وهذا لا يقبله مؤمن.

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ

(١) المرجع نفسه، ج٢٢ص٨٥.

(٢) ينظر: محمّد بن مكرم بن منظور المصري أبو الفضل (ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: أمين عبد الوهاب ومحمّد العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٩٩م، مادة (نشر).

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٨٣.

(٤) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٢٢ص٨١.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٨٣.

(٦) المرجع نفسه، ج٢٢ص٨٥.

لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾[1] إعادة الاسم الظاهر موضع الضمير؛ وذلك "تَعْلِيةً لشأن الرسول ﷺ، وإلَّا لكان المُتوقَّع أن يقول: إن ذلكم كان يُؤذيه؛ لأنه سبق ذِكر النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾، ولكن قال تعالى: ﴿يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ إعلاءً لشأنه ﷺ، وإشارةً إلى أنه لنُبوَّته يجب أن يتحاشى المرء أذيَّته لِمَا له من الفضل"[2].

ومِن دقائق النّظْم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ﴾: أنه جمع فيها الخطاب؛ لأن المخاطبين جمعٌ، واسم الإشارة هنا مفردٌ، إذا اقترن بالكاف فإنه يُراعى فيه المخاطب وهو جماعة المؤمنين، والمشار إليه؛ والمشارُ إليه يتغيَّر به اسم الإشارة، أي: إن ذلك المذكور ﴿يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ﴾[3].

ومن بلاغة الخطاب القرآني في هذا المقطع: اقتران الخبر بحرف **(إن)** وذلك لأمرين الأول للاهتمام به وتأكيده، والثاني بجعل الخبر من النوع الطلبي المستخدم في حق المتردد الشاك، وهو المناسب في حق هؤلاء النفر الذين أطالوا المكث في بيته للاهتمام به ظناً منهم أن ذلك جائز لهم لا حرج فيه، فأكد الكلام تعنيفاً لهم ليستفيقوا[4].

والتعبير عن اسم الفاعل بلفظ المضارع في قوله تعالى: ﴿يُؤۡذِي﴾: "لقصد إفادة أذًى متكررٍ، والتكرير كناية عن الشدة"[5].

وجاء التفريع في قوله تعالى: ﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾: ففي قوله "يؤذي النبي فيستحيي" محذوف يقدره السياق، والمقصود: يؤذي النبي فيَهمُّ بإخراجكم فيستحيي منكم فلا يباشركم بالإنكار ترجيحاً منه للعفو عن حقه على المؤاخذة به، فإذا كان كذلك فإن الله لا يستحيي من الحق؛ لأن أسباب الحياء بين الخلق منتفية عن الخالق سبحانه، وجاءت الجملة اسمية للدلالة على أن هذا الوصف ثابت دائم لله تعالى لأن الحق من صفاته، وعرّف الحق للاستغراق [6].

واخْتير التعبير بلفظ المضارع في قوله تعالى: ﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ﴾: "لأنه مُفرَّع على (يؤذي النبي) ليدل على ما دل عليه المُفرَّع هو عليه"[7]، وهذا دليل على كرم أخلاق النبي ﷺ وكمالها.

---

(١) الأحزاب: ٣٥.
(٢) العثيمين، تفسير ابن عثيمين، ص٤٢٢.
(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٢٢– ٤٢٣.
(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٨٦.
(٥) المرجع نفسه، ج٢٢ص٨٦.
(٦) ينظر: المرجع نفسه، ج٢٢ص٨٦ ـــــ ٨٨.
(٧) المرجع نفسه، ج٢٢ص٨٧.

ولا يفوت المتذوّق جمال الطباق في قوله تعالى: ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؛ ففي الجمع بين ﴿فَيَسْتَحْيِۦ﴾ و﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ مُحسّن الطباق، ومن جهة أخرى: إن الجمع بين الإثبات والنفي يُعد أحد أقسام الطباق، وهو "طباق السلب"(١)، ولا شك أن مجيء الطباق في الأسلوب "سلسًا طيعًا غير مُتكلّف، يزيد في إيضاح المعنى وإظهاره وتقويته، وذلك عن طريق المقارنة بين الضدين، وتَصوُّر أحد الضدين فيه تَصوُّر للآخر، وعلى هذا: الذهن عند ذِكر الضد يكون مُتهيًّا للآخر ومُستعِدًا له، فإذا ورد عليه ثبت وتأكّد فيه"(٢).

والذي يسترعي الانتباه في نظم الآية تعريف ﴿ٱلْحَقِّ﴾ والإعراض عن تنكيره؛ لأن "تعريف الجنس المراد منه الاستغراق... والمعنى: والله لا يستحيي من جميع أفراد جنس الحق"(٣).

وفي الآية أيضًا فائدة عطف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ على جملة ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾(٤) في الآية ذاتها:

والغرض من عطف الجملتين: "زيادة بيان للنهي عن دخول البيوت النبوية، وتحديد لمقدار الضرورة التي تدعو إلى دخولها أو الوقوف بأبوابها"(٥)، وهذا إِكْبارٌ وتعظيمٌ لمقام النبي ﷺ، وبيانٌ لعناية الله ﷻ له.

وفي طيّات هذه الآية البلاغية أيضًا: مجيء ﴿أَطْهَرُ﴾ بصيغة اسم التفضيل أي زيادة طهر لقلوب المؤمنين وقلوبهن؛ لأن قلوب الجميع قد طهرت بالإيمان والتقوى، ولكنها تحتاج إلى مزيد طهر حتى ترتفع بذلك منزلة أزواج النبي ﷺ في القلوب وتقترب من منزلة نبينا في عصمته وطهارته، فيتمكن ذلك في نفوس المؤمنين فلا يتعاملون معهن ولا ينظرون إليهن إلا بهذه المنزلة العالية، فيزداد بذلك غرس وتقرير أمومتهن للمؤمنين في قلوبهم فلا يزال ذلك يتنامى في نفوسهم حتى تقتر صورهن في القلوب من الحقائق المجردة كالملائكة(٦).

وجاء (ذا) مفردًا و(كم) جمعًا في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾؛ لاختلاف مرجع اسم الإشارة والضمير، فاسم الإشارة "ذا" يعود لسؤالهم من وراء حجاب، والضمير "كم" يعود للمخاطبين وهم الصحابة ﭫ(٧).

---

(١) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٢٢ص٨١.

(٢) الشحات أبوستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ط١، ١٤١٤هـ، ص٥٠- ٥١.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٨٨.

(٤) الأحزاب: ٥٣.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٩٠.

(٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٩١.

(٧) ينظر: العثيمين، تفسير ابن عثيمين، ص٤٣١.

وفائدة قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا﴾[1]بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ هو تخصيصٌ بعد العام في كل ما يُتأذى به؛ لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا﴾أي: من بعد وفاته أو فراقه، وهو كالتخصيص بعد التعميم؛ فإن نكاح زوجة الرجل بعد فراقه إياها من أعظم الأذى[2]، وفيه تشديد على مَن يحاول إيذاء النبي ﷺ في أهله، وحِفاظ الله لنبيه ﷺ بعد موته.

ودلالة الاستئناف في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[3]: فقوله "ذلكم" مرجع اسم الإشارة على إيذاء النبيﷺوتزوج نساءه من بعده، والضمير "كم" يعود على الصحابة، ولا شك أن كان مسلوبة الزمن دالة على الاستمرار، وتقديم الظرف "عند الله" على متعلقه "عظيمًا" للتخويف وتعظيم شناعته، وهو يدل على تعظيم الله لرسوله وتأكيد حمايته، وتخويف المؤمنين من كل ما يؤذيه وخاصة تزويج نسائه من بعده[4].

وفي الختام للموضع، وهو قوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[5]: إجمالٌ لما ذُكر في الآيات السابقة، وتأكيدٌ لما فيها من معانٍ، وذلك من خلال أمرين:

أولًا: أنها تحمل في طياتها الوعد والوعيد، وعد من وافق المأمور ظاهرًا وباطنًا بالجزاء الحسن لاطلاع الله عليه، والوعيد لمن خالف أمر الله وعانده بارتكاب نهيه بأنه تعالى مطلع عليه لا يخفى عليه شيء كائنًا ما كان؛ لأن قوله "شيئًا" نكرة في سياق الشرط فتعم كل شيء [6].

ثانيًا: جملة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ "جواب الشرط، واقترنت بالفاء؛ لأنها جملة اسمية، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ فهي جملة اسمية وإن قُرِنَت بـ (إن) الدالة على التوكيد، ووجه ارتباطها بما قبلها –أي: بفعل الشرط–: أنه إذا كان الله تعالى عالمًا به، فسوف نجازيكم عليه: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[7]، وقد تضمنت الجملة عدة مؤكّدات:

وقد تضمنت الجملة عدة مؤكّدات:

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) ينظر: الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١١ص٢٤٨، وينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ج٨ص٥٠١.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٩٤، والعثيمين، تفسير ابن عثيمين، ص٤٣٥.

(٥) الأحزاب: ٥٤.

(٦) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢ص٩٥.

(٧) العثيمين، تفسير ابن عثيمين، ص٤٣٦.

منها: الجملة الاسمية الدالة على ثبات اتصاف الله بعلم كل شيء، ومنها: "إن" الدالة على التوكيد، وكل تلك المؤكدات تَضافَرَت في تقرير ذلك العلم لله، بما لا يمكن الوصول إلى تقريره بغير هذا الأسلوب البليغ.

وتتجلي القيمة الحجاجية لهذه الآية في استخدام أسلوب الشرط الذي يربط بين العلم الإلهي والجزاء، مما يشكل حجة قوية تستند إلى البناء الدلالي للآية ويبرز البعد الفكري لمضمونها. فالسياق المقامي هنا يتمثل في تأكيد أهمية احترام خصوصية النبي وبيته، وقد أسهمت البلاغة في إظهار هذه الدلالة المقامية من خلال بناء حجاجي متماسك يربط بين العلم الإلهي المطلق والجزاء المترتب عليه، وهو ما يثري المعنى ويعمقه في نفس المتلقي، ويبرز توافق رأي عمر بن الخطاب مع المقصد القرآني.

منها: الجملة الاسمية الدالة على ثبات اتصاف الله ﷻ بعلم كل شيء، ومنها: "إن" الدالة على التوكيد، وكل تلك المؤكدات تَضافَرَت في تقرير ذلك العلم لله ﷻ، بما لا يمكن الوصول إلى تقريره بغير هذا الأسلوب البليغ.

الموضع الثاني: الصلاة عند مقام إبراهيم

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(١).

التحليل البلاغي:

في مُستَهَلِّ هذه الآية جاء حرف العطف الواو عطفًا على ذكر فضائل إبراهيم بعد أن ذكر جعله إمامًا للناس، ثم جاءت الإعادة في (إذ)(٢) المتعلقة بفعل محذوف تقديره "واذكر إذ" إشارة إلى أن هذه قصة أخرى وموضوع جدير بالاهتمام والذكر (٣)، وفي هذا لَفْتَةٌ إلى الاهتمام بهذه القصة، ومحاولة تدبرها، والتعمق في معناها؛ لاستقلالها عن غيرها.

والسر في إطلاق ﴿ٱلْبَيْتَ﴾ وإرادة البيت الحرام: "إشعار بفضله، وإشارة إلى كماله، وإلى أنه أكمل بيت وُضِع للناس؛ لأنه أول بيت للعبادة، ولأنه بناء إبراهيم أبي الأنبياء، ولأنه موضع الأمن من الخوف، ومثابة الناس، ولأنه أُنشِئ مُطهَّرًا من الأصنام وما جاء بها العرب بعد ذلك إلا بعد أن انحرفوا عن ملة إبراهيم وإن كان –البيت– شرفهم ومُحْتَدهم الكريم"(٤)، والتعريف في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ تعريفٌ "للجنس المعهود، وتعليقٌ للناس بمثابةٍ على التوزيع،

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) (إذ) الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

(٣) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١ص٧٠٨.

(٤) محمد بن أحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج١ص٣٩٦.

أي: يزوره ناس ويذهبون فيَخلُفهم ناس، ولمَّا كان المقصود من هذا ذِكر منقبة البيت والمِنة على ساكنيه، كان الغرض التذكير بنعمة الله أنْ جعله لا ينصرف عنه قوم إلا ويخلُفهم قوم آخرون، فكان الذين يخلفون الزائرين قائمين مَقامهم بالنسبة للبيت وسكانه، ويجوز حمْل تعريف الناس على العهد، أي: يثوب إليه الناس الذين أَلِفُوه، وهم كمل الزائرين؛ فهم يعودون إليه مرارًا، وكذلك كان الشأن عند العرب"(١)، وهذا من تعظيم البيت: أنه أُطلِق ابتداءً في الآية، وجاء بـ(أل) التعريف التي أفادت العهد، فلا يمكن أن يذهب الذهن أو ينصرف عن مسجد غيره؛ فهذا هو العهد الذي شرف الله به المسجد الحرام، وجعل أفئدة الناس تهوي إليه.

ومن فوائد إضافة البيت إلى (ياء) المتكلم في قوله: ﴿بَيْتِيَ﴾:

أن هذه الإضافة تستدعي التعظيم والرفعة والإكرام كما نجده في قوله "ناقة الله" ونحوها، ثم إن هذه الرفعة والإكرام الذي قام في قلوب العباد استدعى جذب قلوبهم لهذا البيت فتعلقت أرواحهم به، إضافة إلى أن مخاطبة إبراهيم وإسماعيل بهذه الصيغة "بيتي" يستدعي منهما استفراغ الوسع في تطهيره وتنظيفه وتعظيمه (٢).

ومن اللّطائف في سر تقديم: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ على ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ وتقديم ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ على ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٣):

فبالرغم من أن الصلاة هي أفضل العبادات على الإطلاق إلا أن السياق لما كان في ذكر المسجد الحرام وتعظيمه فقد قدم ما يختص به وهو الطواف الذي لا يكون إلا فيه، ثم ثنّى بالاعتكاف الذي لا يكون إلا في مسجد ثم ذكر الصلاة بذكر أعظم ما فيها وهو الركوع والسجود وهي لا يشترط أداؤها في مسجد (٤)، ويُلمِّح لهذا التقديم نكتةٌ أخرى، وهي أنه لما كان الكلام في معرض تعظيم البيت الحرام وذاك يتدرج في القلوب رفعة، فقد جاءت هذه الأربعة متدرجة من القلة إلى الكثرة؛ ذلك أن العاكفين أكثر من الطائفين؛ لأن الاعتكاف يحصل في أي مسجد بخلاف الطواف، كما أن السجود أكثر من الركوع؛ لأنه يحصل مرتين في كل ركعة، والمصلون أكثر من العاكفين(٥).

ومن بلاغة المعطوفات في الآية: أن فيها ثلاث قضايا، معطوفًا بعضها على بعض، ومترابطة مع بعض؛ الأولى: وإذ جعلنا البيت مَثابةً للناس وأمنًا، ثم بيّن تعليل الأمر الثاني

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١ص٧٠٧.

(٢) يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ص٦٥.

(٣) البقرة: ١٢٥.

(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٥.

(٥) فاضل بن صالح السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، ١٤٣١هـ، ص٤٨٥.

وكيف تم تنفيذ القضية الأولى، ومن العبارة الثالثة عرفنا لِمَ جعل البيت مَثابَةً وأَمْنًا، وذلك من أجل الطواف والعكوف والركوع والسجود(١).

وفي بلاغة ترْك عطف إحدى الصفتين على الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أنه "لما كان الركوع والسجود بمثابة كلمة واحدة؛ لأنّ الركوع والسجود ركنان متّصلان، أسقط حرف العطف من بينهما، ونزّلهما منزلة الكلمة الواحدة، ولو عطف السجود بالواو، ولأَوْهَم أنهما عبادتان منفصلتان"(٢).

والسرُّ في اختيار جمع السلامة في قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ وجمع التكسير في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: ليقابل بين ما هو ألصق إلى البيت فجمعه جمع سلامة لقربه من لفظ الفعل بمنزلة يطوفون، ثم جاء الانزياح في " الركع السجود" وهما عبادتان لا يلزم أداؤها في البيت الحرام بل ولا في أي مسجد ولذا لم يجمعهما جمع سلامة، وفي هذا الانزياح من الفصاحة والتفنن في الكلام ما لا يخفى(٣).

"وقد استرعى انتباهي ذلك التوافق العجيب بين الآية وقول عمر بن الخطاب مع تغيير طفيف في الصيغة؛ فعمر قال: "لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلّى" بينما جاءت الآية بتحويل الفعل إلى صيغة الأمر. وأجد في هذا التحول الأسلوبي من الماضي في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ إلى الأمر لطيفة بلاغية بديعة تتمثل في الالتفات، وهو من أساليب القرآن البليغة التي تثير انتباه المتلقي وتجدد نشاطه. وأستنتج من هذا التوافق المذهل أن عمر كان متمكناً من البلاغة ومتذوقاً لها بشكل فطري، محسناً اختيار اللفظ وفصيح القول. ولعل هذا يفسر – في تقديري – سر تلك الموافقات العجيبة بين آرائه والنص القرآني، وأرى في حفظ قوله في كتاب الله الباقي إلى قيام الساعة دليلاً على فضل الله العظيم عليه وتكريمه له."

وتتجلى القيمة الدلالية والحجاجية في هذا الموضع من خلال الانتقال من صيغة التمني (لو اتخذنا) في قول عمر إلى صيغة الأمر الإلهي المباشر (واتخذوا)، مما يعكس البعد الفكري المتمثل في أهمية إحياء معالم إبراهيم عليه السلام وتعظيم شعائر الله. وقد أسهمت البلاغة في الكشف عن الدلالة المقامية لهذه الآية من خلال أسلوب الالتفات الذي يثير انتباه المتلقي ويرسخ أهمية الأمر الإلهي، كما يبرز مدى توافق فكر عمر بن الخطاب مع المقاصد الشرعية والأبعاد التعبدية التي جاءت بها الآية الكريمة.

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١ص ٦٠٩.

(٢)محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج١ ص١٨٤.

(٣) ينظر: محمد بن محمد ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م، ج١ص٤١٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١ص٧١٢.

الموضع الثالث: تحذير أمهات المؤمنين من الغيرَة المُفرِطة على رسول الله ﷺ:

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾[1].

التحليل البلاغي:

"وفي قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] إيجازٌ بحذف ما يترتب عليه إبدالهنّ، والتقدير: "إن فارقكنّ"؛ فيصبح التقدير الكامل: عسى أن يطلقكنّ هو – وإنما يُطلِّق بإذن ربه – أن يبدله ربه بأزواج خير منكنّ. وفي هذا الأسلوب ما يشير إلى معنى عميق من معاني الموعظة والإرشاد.

ومما يؤيد معنى الموعظة والإرشاد في الآية: أنّ قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ "تَعريضٌ بأُمِّي المؤمنين...، وأنه تعالى بعدما حكى عن أُمِّي المؤمنين ما فعلتا مما حصلت منه الكراهة لحضرة الرسالة من التظاهُر عليه، وعمّ التوبيخ بقوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ وهما المرادتان أوليًا، وذكر أوصاف المبدلات تقريعًا"[2]، وهذا فيه تَقْريعٌ ووعيدٌ لمن دخل في الآية دخولًا أوليًا من أزواج النبي ﷺ، وأما مَن لم يشترك في الفعل من الأزواج، دخل في الآية للاعتبار بأُمِّي المؤمنين ﷺ.

وفي معنى (عسى) في حق الله في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾:

تأتي "عسى" لغةً على معنيَين: معنى الإشفاق، ومعنى الترجي؛ وهذان المعنيان يشكّلان في حق الله؛ لذلك تأتي "عسى" في حق الله واجبة، قال الآلوسي ﷺ: "والفرق بين الإشفاق والترجي بها في المعنى: أن الترجي في المحبوبات، والإشفاق في المكروهات؛ و«عسى» من الله تعالى واجبة؛ لأن الترجي والإشفاق مُحالان في حقه، وقيل: كل «عسى» في القرآن للتحقيق، يَعْنُون الوقوع، إلا قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية، وهي في هذه الآية ليست ناقصة فتحتاج إلى خبرٍ بل تامةً"[3].

والتعبير بقوله ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾:

فيه "تذكير لهنّ بأنهنّ ما اكتسبْنَ التفضيل على النساء إلا من فضل زوجهنّ عند الله، وإجراء الأوصاف المفصّلة بعد الوصف المجمَل، وهو (خيرًا منكنّ) للتنبيه على أن أصول

(١) التحريم: ٤-٥.

(٢)الطيبي، فتوح الغَيْب في الكشف عن قناع الرَّيْب، تحقيق: إياد محمد الغوج، ط١، دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ، ج١٥ص٥١٧.

(٣) ابن حيان، البحر المحيط، ج٢ص٣٨٨.

التفضيل موجودة فيهنّ، فيكون لِلّائي يتزوجهنّ النبي ﷺ فضلٌ على بقية النساء، بأنهن صِرْنَ أزواجًا للنبيء ﷺ"(١).

فقد تبيّن للبحث الجمال البلاغي في هذا الجزء من الآية الكريمة، وقد وافقت قول عمر بن الخطاب ﷺ في لفظه وبحروفه نفسها وهو يدل دلالة واضحة على بلاغة هذا الصحابي الملهم، بل وعلى تمكنه من ناصية البلاغة، كيف لا وهو أبرز الخلفاء التصاقًا بالشعر، وقد مثلت مواقفه تطورًا نقديا مهمًا في جوانب الشعر المختلفة، كما في حكمه النقدي في زهير بن أبي سلمى: فعن ابن عباس قال: قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت وكان كذلك؟ قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع وحشيِّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"(٢)، فحكم عمر لزهير يعد من أهم الأحكام النقدية الموضوعية، وهو يدل على تذوقه الأدبي، وتحليله النقدي المعلل، فلا غرو أن يتوافق قوله مع الآية القرآنية.

بقي من لطائف النظم في الآية بلاغة الأوصاف المفصّلة بعد الوصف المجمَل:

أ-الوصف بـ﴿مُسْلِمَٰتِ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾: هو تحقيق لاجتماع الوصفين فيهن، فالإسلام هو تصديق اللسان والجوارح، أي الأعمال الظاهرة، أما الإيمان فهو تصديق القلب والباطن، وقد لا يجتمعان فهو وصف يُوهِم التكرار(٣).

ب-الوصف بـ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: فالأصل في معنى القنوت هو الطاعة، بمعنى أنهن قائمات بطاعة الله ورسوله حق القيام، وفي ذلك تعريض بما حصل لبعضهن من التقصير في حقه ﷺ(٤).

ج- الوصف بـ ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾: فيه تَعريض "بإعادة التّحْريض على التوبة من ذنبهما التي أَمرَتا بها بقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٥)"(٦).

د- الوصف بـ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: من بدائع النظم ورائع التشبيه؛ فالمقصود بالسائحات الصائمات، شُبّه الصائم بالسائح لأن السائح غالبًا لا زاد معه، فيمسك حتى يجد من يطعمه، وهكذا الصائم لا يزال ممسكًا حتى يحين وقت الإفطار(٧).

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٨ص٣٦٠.

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمّد، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص ١٣٧.

(٣) ينظر: عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: اعادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ ه، ج١٩ص٢٠٣.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٨ص٣٦١.

(٥) التحريم: ٤.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٨ص٣٦١.

(٧) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠ ص٥٧١.

ه- عطف الصفات بعضها على بعض: جرى الاستعمال القرآني على ألا يعطف بعض الصفات على بعض، "وقول البلاغيين: إن الصفات لا يُعطف بعضها على بعض إلا إذا كانت متضادةً،... أما إذا كانت غير متضادة فإنها تُذكر بالعطف... واتّكاؤهم في ذلك على ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [1] وأن الصفات قد توالت بلا عطف إلا ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾؛ فقد عُطِفتا لما بينهما من التضاد"[2]، فلم يكن بُدٌّ من الواو في هذه الحالة، وأنّ ترك الواو أفاد أن هذه الصفات مجتمعة في الموصوفين، وكأنها صفة واحدة؛ من أجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهنّ، ولو عُطِفت بالواو لاحتمل أن تكون الواو للتقسيم، أي: تقسيم الأزواج إلى مَن يثبت لهنّ بعض تلك الصفات دون بعض[3].

وقدّم وصف (ثَيِّبات) على (أبكارًا): "لأن أكثر أزواج النبي ﷺ لمّا تزوجهنّ كُنّ ثَيِّبات، ولعله إشارة إلى أن المَلَامَ الأشدَ مُوجّهٌ إلى حفصة قبل عائشة، وكانت حفصة ممن تزوجهنّ ثيبات، وعائشة هي التي تزوّجها بكرًا، وهذا التعريض أسلوب من أساليب التأديب"[4].

الموضع الرابع: قضية أُسارى بدر:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[5].

التحليل البلاغي:

الاستئناف في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

ففي جعل هذا الحكم المستأنف في أواخر هذه السورة التي بينت هذه الغزوة العظيمة غزوة بدر موقعًا حسنًا، ففي تأخير هذا الحكم إكرام للصحابة الذين جابهوا هذا العدو الذي يفوق ثلاثة أضعافهم مع قلة عتادهم فأكرمهم الله بالنصر المبين، ثم والى إكرامهم بالغنائم التي ستسد حاجتهم وفاقتهم، ثم منّ عليهم بعد كل ذلك فيما جرى للأسرى من الفدية التي هي إكرام بعد إكرام [6].

(١) التحريم: ٥.

(٢) البلاغة ٢- المعاني، لمناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ص٤٥٣.

(٣) ينظر: البلاغة ٢- المعاني، ٤٥٤، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٨ص٣٦١.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٨ص٣٦٢.

(٥) الأنفال: ٦٧-٦٩.

(٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠١ص٧٢.

ومن اللطائف التي استوقفتني في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ ذلك المعنى الدقيق للنفي الذي أرى أنه يأتي بمعنى: 'لا يصلح' أو 'لا ينبغي'. وقد تأملت سياق الآية فتبين لي أن هذا الكلام جاء تمهيداً للعتاب الإلهي اللطيف، ومن هنا أستنتج أن المراد منه ما لا يصلح من حيث الرأي والسياسة الشرعية. وأميل إلى أن معنى هذا الكون المنفي في قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ يشير إلى بقاء الأسرى في الأسر، سواء كان ذلك ببقائهم أرقاء أو ببقاء أعواضهم وهو الفداء. وأرى في هذا الأسلوب دقة متناهية في صياغة الأحكام الشرعية المتعلقة بالحرب والأسرى، والتي توافقت مع رأي عمر وفطنته السياسية الثاقبة.

، وليس المراد أنه لا يصلح أن تقع في يد النبي أسرى؛ لأن أَخْذَ الأسرى من شؤون الحرب، وهو من شؤون الغلب إذا استسلم المقاتلون، فلا يعقِل أحدٌ نَفْيَه عن النبي، فتعيَّن أن المراد نفي أثره، وإذا نُفِيَ أثر الأسر صَدَق بأحد أمرين: وهما المنُّ عليهم بإطلاقهم أو قتلهم، ولا يصلح المنُّ هنا؛ لأنه ينافي الغاية، وهي: حتى يُثْخِنَ في الأرض، فتعيَّن أن المقصود: قتْل الأسرى الحاصلين في يده، أي أن: ذلك الأجدر به حين ضَعْف المؤمنين، خضْدًا لشوكة أهل العناد، وقد صار حكم هذه الآية تشريعا للنبي ﷺ فيمن يأسرهم في غزواته"(١).

وقد جاء تنكير "نبي" في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ ليؤكد أن هذا الحكم لا يختص به نبينا ﷺ بل هو تشريع لأنبياء سابقين من بني إسرائيل، ولذا لم تأت معرفة "ما كان للنبي" حتى لا تختص بنبينا ﷺ (٢)

وطُوِيَ المضاف في هذه الآية، وتقديره: "ما كان لأصحاب نبيٍ أو لأتباع نبيٍ، فحُذِف اختصارًا"(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُثۡخِنَ﴾ تشبيه جميل، إذ شبّه نصره ﷺ على أعداءه وغلبته عليهم في أكثر وقائعه بحال من يجرح خصمه جراحات قوية تثخنه في الأرض لا يستطيع الحركة بسببها(٤).

وهناك نُكْتَةٌ في التعبير بالجمع في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ﴾؛ فقد "جاء الجمع في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولم يجئ التركيب: تريد أو يريد عرض الدنيا؛ لأنه ﷺ لم يأمر باستبْقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد عَرَض الدنيا قطُّ، وإنما فعله جمهور مُباشِري الحرب"(٥).

---

(١) المرجع نفسه، ج١٠ص/٧٤.

(٢)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٧٢، ومحمد الهلال، تفسير القرآن النَّرِي الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، دار المعراج، ١٤٤٣هـ، ج١٠ص٦٧.

(٣) ابن حيان، البحر المحيط، ج٥ص٣٥٢.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٧٥.

(٥) ابن حيان، البحر المحيط، ج٥ص٣٥٢.

ومن اللطائف في معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ فإن هذا من قبيل الاستفهام الإنكاري، أي فهل يكون حالكم مع عدوكم إلا كحال من يريد الدنيا؟ فإن بلغ بكم الحال هذا المبلغ فإن الله يحب لكم الثواب وقوة الدّين(١).

وفي إفادة العطف في جملة: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ على جملة: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾:

"عطفٌ يُؤذِن بأن لهذين الوصفين أثرًا في أنه يريد الآخرة، فيكون كالتعليل، وهو يفيد أن حظ الآخرة هو الحظ الحق؛ ولذلك يريده العزيز الحكيم، فوَصْفُ "العزيز" يدل على الاستِغْناء على الاحْتِياج، وعلى الرِّفْعَة والمَقْدِرَة؛ ولذلك لا يليق به إلا محبة الأمور النّفِيسة، وهذا يُومِئ إلى أن أولياءَه ينبغي لهم أن يكونوا أعزاء... أن يَرْبَأُوا بنفوسهم عن التعلق بسَفَاسِف الأمور، وأن يَجْنَحوا إلى معاليها، ووَصْف (الحكيم) يقتضي أنه العالِم بالمنافع الحق على ما هي عليه؛ لأن الحكمةَ العلمُ بحقائق الأشياء على ما هي عليه"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣): مما يبدو أن ظاهر النص القرآني الكريم في هذه الآية استئنافٌ من الله ﷻ على سبيل الامْتِنان والتحذير، فكأنهم قالوا ﷺ: تَقْتَضِي عزته وحكمته سبحانه من تطهيرنا عما تَدَنّسْنا به؟ فاستأنف تعالى الجواب عن ذلك مُمتَنًا غاية الامتنان ومُحذّرًا من التعرُّض لمواقع الخسران، فقال: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ أي: قضاءُ حتمٍ ثابتٌ مُبرَمٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٤).

وتنكير قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾: يفيد الدلالة على النوعية والإبْهام؛ أي: لولا وجود سُنة تشريعٍ سَبَقَ عن الله، وذلك الكتاب هو عذر المستشار وعذر المجتهد في اجتهاده إذا أخطأ؛ فقد استشارهم النبي ﷺ، فأشاروا بما فيه مصلحةٌ رأوها، وأخذ بما أشاروا به، ولولا ذلك لكانت مخالفتهم لما يحبه الله اجتراءً على الله يوجِب أن يمسهم به عذاب عظيم(٥).

وفي الآية ذاتها تعليلٌ، و"هو أن يريد المتكلم ذِكر حكم واقع أو متوقع، فيقدّم قبل ذِكره علة وقوعه؛ لكون رتبة العلة التقدم على المعلول، وهنا في الآية الكريمة: لولا حُكْمٌ منه تعالى سبق إثباته في اللوح المحفوظ، وهو ألا يعاقب قومًا قبل تقديم ما يبين لهم أمرًا أو نهيًا"(٦).

---

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ج١٠ص٧٧.

(٣) الأنفال: ٦٨.

(٤) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ج٨ص٣٣١- ٣٣٢.

(٥) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٧٧.

(٦) محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، ط٣، دمشق، بيروت، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، ١٤١٦هـ، ٥ص٢٦٥.

وفي بلاغة الآية ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

فاء التّفْرِيع في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ﴾: تُؤذِن بتفريع هذا الكلام على ما قبله؛ أي لولا ما سبق في علم الله من حل الغنائم لكم لمسكم العذاب، فلما سبق الحل فلا تبعة عليكم في أن تأكلوا، أو أنه لما امتن عليهم بصرف عدوهم عنهم فرّع على الامتنان الانتفاع بمال الفداء ويتوسعوا به في حياتهم (٢).

و**الأمر في قوله تعالى:** ﴿فَكُلُواْ﴾: للمنة لا للإباحة؛ لأن الإباحة قد تقررت قبل ذلك، لذا فقوله "حلالًا" حال مؤسسة، وفي قوله "فكلوا" من لطائف البلاغة أنها مجاز مرسل علاقته مسببية؛ لأن المال إنما يؤخذ لأجل الأكل أولًا (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مقابلة "كلوا" أي قابلوا نعمة الله عليكم ومنته لكم بحل الانتفاع بمال الفداء بشكر الله وتقواه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليلٌ للأمر بالتقوى (٤).

وفي دلالة التعبير بالصفة المشبهة وصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: التأكيد؛ فقد "أكّد ﷺ مغفرته ورحمته، بصيغة المبالغة أو الصفة المشبهة في ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وبالجملة الاسمية، وبـ(إنَّ) المؤكدة"(٥)، فما جاء من مؤكدات الآية: الصفة المشبهة، واسمية الجملة الدالة على ثبات اتّصاف الله ﷻ بذلك على الدوام والاستمرار في جميع الأحوال، و(إن) المشددة، وكل تلك المؤكدات تضافرت في تقرير ذلك الوعد الكريم من الله ﷻ بما لا يمكن الوصول إلى تقريره بغير هذا الأسلوب البليغ.

الموضع الخامس: عدم الصلاة على زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٦).

التحليل البلاغي:

من اللطائف البلاغية عطف جملة: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ **على جملة:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ **[التوبة:٨٠]**؛ حيث "عطف كلامٍ مراد إلحاقه بكلام آخر؛ لأن القرآن ينزل مُراعًى فيه مواقع وضْع الآي"(٧).

---

(١) الأنفال: ٦٩.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٧٩.

(٣)ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج٦ص٣١٩٦.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٧٩.

(٥) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج٦ص٣١٩٧.

(٦) التوبة: ٨٤.

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١ص٢٨٤.

والنهي في قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾: "صفةٌ لأحد وإنما جيء بصيغة الماضي تنبيهًا على تحقق الوقوعِ لا محالة"(١).

وحين نتأمل النهي في ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ نجد فيه مع شدة النهي لطفاً خاصاً؛ إذ هو صفة لأحد من المنافقين مات، وأرى أن مجيء الفعل بصيغة الماضي يحمل دلالة بليغة تنبه إلى تحقق الوقوع لا محالة. وما أثار تفكيري بشكل خاص هو ذلك الإخبار بالفعل الماضي (مات) عن المستقبل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ﴾ فالسياق يتحدث عن المستقبل مع أن التعبير جاء بصيغة الماضي. ويتضح لي أن هذا الأسلوب له دلالة عميقة تتمثل في أن موعد الموت – وإن كان مجهولاً للبشر – إلا أنه في علم الله قد حُدد وانقضى أمره. ولعل هذا الأسلوب القرآني البليغ يشير إلى حقيقة الزمن في المنظور الإلهي، حيث الماضي والمستقبل سواء في علمه سبحانه، وهذا – في نظري – من دقائق الإعجاز البياني التي يمتاز بها القرآن الكريم.

وسر تنكير كلمة ﴿أَحَدٍ﴾؛ لقصد إفادة العموم(٢).

أما دلالة كلمة: ﴿أَبَدًا﴾: "يحتمل تَأْبِيد النفي، ويحتمل تأبيد المَنْفِي، والمقصود هو: الأول؛ لأن قرائن هذه الآيات دالة على أن المقصودَ منعُه من أن يصلي على أحد منهم منعًا كليًا دائمًا"(٣).

والعطف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ مَسوقٌ لبيان النهي أيضًا عن الوقوف عليه "عند دفنه؛ لأن المشاركة في دفن المسلم حق على المسلم على الكفاية: كالصلاة عليه؛ فتَرْكُ النبي ﷺ الصلاة عليهم وحضور دفنهم إعلانٌ بكفر مَن ترك ذلك له"(٤).

وفي دلالة تكرار النهي: "لا تصل" "ولا تقم" أن ذلك النهي بسبب كفرهم، وأن أموالهم وأولاده لا توجب العطف عليهم والشفقة بهم، فكفرهم كافٍ في عدم العطف عليهم، ولا رجاءَ الخير منهم(٥).

وفي دلالة الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾:

أن هذه الجملة في مقام التعليل لما قبلها، وهو تعليل للمنع من الصلاة والقيام بما يقتضي الامتناع من ذلك، وهو الكفر والمُوافَاة عليه؛ ولذا كان بينهما فصلٌ؛ فكمال الاتصال

(١) العمادي محمد بن محمد، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٤ص ٨٩.
(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٢٨٥.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٦ص١١٦.
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠ص٢٨٦.
(٥) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج٧ص٣٤٠١.

بالعلة: (إِنَّهُمْ كفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) وأكّد سبحانه كفرهم بـ(إن)، وأنهم يحملون أوصافاً تقتضي تحقُّق الكفر بالله وبرسوله؛ إذ يحاولون أن يخدعوا اللهَ ورسولَه، وقد استمروا على ذلك حتى ماتوا[1].

وإيثار لفظ "فاسقون" دون غيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾:

لأن الكافر قد يكون عدلًا في نفسه مؤديًا للحقوق متجنبًا ايذاء الناس، وقد يكون خلاف ذلك، والمنافقون جمعوا بين الكفر وبين خبث النفس والكذب والخداع وإضمار السوء فجمعوا فساد الباطن فساد الظاهر[2].

وهكذا امتازت الآيات النازلة في عمر بن الخطاب ومُوافَقاته بالتركيز والتكثيف البلاغي، ودقة الوصول إلى جَوْهَر الغَرَض.

(١) ينظر: المصدر نفسه، ج٧ص٣٤٠٠، وينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ج٥ص٤٧٨.

(٢) ينظر: علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ج٢ص٣٩٣.

الخاتمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان، أما بعدُ:

من خلال دراستي لبلاغة ما نزل من القرآن في شأن عمر بن الخطاب ومُوافَقاته للقرآن، توصلت إلى أن هذا البحث ما هو إلا محاولة لتجلية جانب من جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. وقد استطعت من خلال التحليل البلاغي العميق الكشف عن لطائف بلاغية وأسلوبية رائعة في الآيات الأولى من سورة الحجرات النازلة في شأن عمر. كما توصلت في هذا البحث إلى إبراز الجمال البلاغي المذهل في الآيات التي وافقت عمر بن الخطاب لفظاً أو رأياً. وأرى أن أهم ما كشفت عنه هذه الدراسة هو الأبعاد الدلالية والحجاجية العميقة لهذه الآيات ومضمونها الفكري وتوجهها. وقد تبين لي بوضوح كيف أسهمت البلاغة القرآنية إسهاماً فريداً في إظهار الدلالة المقامية للآيات وأثرها في إثراء المعنى وترسيخه في النفوس.

وبعد هذه الرحلة البحثية المتعمقة في جماليات النص القرآني، توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج المهمة التي تكشف عن أبعاد بلاغية فريدة، ومن أبرزها

أولًا: أن علم المعاني قد تجلى في **الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ومُوافَقاته** بصورة استثنائية لفتت انتباهي، فقد لاحظتُ أن كل تركيب يحمل دلالته الخاصة التي تُبرز المعنى المقصود بدقة متناهية. وقد كشف لي التحليل البلاغي المتعمق التوافق العجيب بين أسلوب الآيات ومقاصدها، مما يؤكد – في رأيي – وجهاً فريداً من وجوه الإعجاز القرآني، ويبرز أهمية علم المعاني وأثره البالغ في فهم نظم الكلام القرآني المعجز.

ثانياً استوقفني بشكل لافت أن مواضيع الآيات التي درستها تكشف عن سداد رأي عمر وعمق بصيرته في معالجة الأمور. وأرى أن هذا التوافق العجيب بين آرائه والنص القرآني ليس مجرد صدفة، بل يعكس فهماً عميقاً للمقاصد الشرعية والحس اللغوي المرهف الذي تمتع به. وقد تبين لي من خلال التحليل البلاغي أن الوحي نزل مُوافِقاً لآرائه بألفاظ تتسم بالقوة والجزالة، مما يشير – في تقديري – إلى قيمة هذه الآراء ووجاهتها في ميزان الشرع.

ثالثًا: كشفت لي دراسة الآيات النازلة في عمر وموافقاته عن تنوّع لافت في مناقبه، وهو ما يُبرز جوانب متعددة من شخصيته الفذة. فقد لاحظتُ أن هذه المناقب لم تقتصر على جانب واحد، بل امتدت لتشمل الجوانب الدينية كما في آيات الحجاب والصلاة عند مقام إبراهيم، والجوانب السياسية كما في موقفه من أسارى بدر، والجوانب الاجتماعية كما في

موقفه من تحذير أمهات المؤمنين. وهذا التنوع يعكس – في رأيي – شمولية فهمه وتوازن شخصيته، وهي سمة فارقة قلما تجتمع في شخصية واحدة.

رابعًا: لفت انتباهي ذلك التباين الثري في الدلالات البلاغية التي اشتملت عليها الآيات النازلة في عمر وموافقاته، فقد وجدتُ تنوعاً بديعاً في استخدام فنون البلاغة من استعارة وكناية وتقديم وتأخير ومجاز. وما أثار إعجابي بشكل خاص هو كيفية تآزر هذه الأساليب البلاغية المتنوعة في إبراز المعاني وخدمتها. وأستطيع القول إن هذا التآزر البلاغي يمثل – في نظري – منظومة متكاملة تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني، حيث تتضافر الأساليب البلاغية المختلفة في خدمة المقصد وإبرازه بأبهى صورة وأكملها.

خامساً: من أهم ما توصلتُ إليه في هذا البحث هو اكتشاف البعد الحجاجي العميق والأفق الفكري الواسع في الآيات الموافقة لرأي عمر بن الخطاب. فمن خلال التحليل البلاغي المعمق، استطعتُ الكشف عن كيفية بناء الحجة القرآنية وقوتها الإقناعية، وهو ما يتجلى – برأيي – بشكل خاص في آيات الحجاب وأسارى بدر. كما لاحظتُ كيف استطاعت البلاغة القرآنية بأدواتها المتنوعة أن تكشف عن الدلالات المقامية العميقة لهذه الآيات وأثرها في إثراء المعنى وترسيخه لدى المتلقي. وأرى أن هذا التناغم بين البعد الحجاجي والبعد الجمالي هو سر من أسرار التأثير القرآني الفريد.

التوصيات والمُقترَحات:

تَبَدَّتْ لي بعد دراستي للآيات النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ ومُوافَقاته، مجموعةٌ من التوصيات أرجو أن تكون نافعة ومفيدة في بابها للباحثين، من أهمها:

أولًا: أوصي بأهمية تناول أسباب النزول في القرآن الكريم بدراسات بلاغية معمقة؛ فقد تبين لي من خلال هذا البحث أن هذا الجانب ما زال بكراً يحتاج إلى مزيد من الجهود العلمية الجادة. وأعتقد أن مثل هذه الدراسات ستسهم بشكل كبير في كشف الستار عن أوجه بلاغية جديدة في النص القرآني، وتعمق فهمنا لإعجازه البياني الفريد.

ثانيًا: أرى ضرورة ملحة لتوجيه اهتمام الباحثين والمختصين نحو استكشاف جوانب الإعجاز في القرآن الكريم من خلال دراسة أسباب النزول بمنهجية جديدة. وأقترح في هذا الصدد تقسيم دراسات أسباب النزول إلى موضوعات متنوعة بحسب سبب النزول، مما سيتيح – في تقديري – فهماً أعمق للسياقات المقامية التي نزلت فيها الآيات، وسيكشف عن أبعاد جديدة في بلاغة القرآن الكريم ترتبط بمراعاة مقتضى الحال. ولعل هذا المنهج يفتح الباب أمام تجديد الدراسات البلاغية للنص القرآني بما يثري المكتبة العربية والإسلامية.

ثالثًا: من خلال ما لمسته من ثراء بلاغي في الآيات النازلة في عمر بن الخطاب، أوصي بشدة بتوسيع دائرة البحث البلاغي لتشمل الآيات النازلة في بقية الصحابة رضوان الله تعالى عنهم. وأعتقد أن هذا المجال خصب للغاية ويحتاج إلى دراسات متعمقة تكشف عن خصائص بلاغية فريدة لكل مجموعة من الآيات. ولعل المقارنة بين الخصائص البلاغية للآيات النازلة في مختلف الصحابة تفتح آفاقاً جديدة في فهم أسرار النظم القرآني وإعجازه، وتبرز جوانب من شخصيات الصحابة وأثرهم في نزول القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن حيان، محمد بن يوسف، "البحر المحيط"، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٣- ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي بن عادل، "اللباب في علوم الكتاب"، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.

٤- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

٥- ابن عرفة، محمد، "تفسير ابن عرفة"، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م.

٦- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، "مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٧- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، "الشعر والشعراء"، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.

٨- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٩- ابن منظور، محمّد بن مكرم بن منظور المصري أبو الفضل، "لسان العرب"، تحقيق: أمين عبد الوهاب ومحمّد العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٩٩م.

١٠- أبو زهرة، محمد بن أحمد، "زهرة التفاسير"، دار الفكر العربي.

١١- الألوسي، محمود بن عبد الله، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٢- البخاري، محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، تحقيق: مصطفى البغا، ط٥، دمشق، دار ابن كثير ودار اليمامة، ١٤١٤هـ.

١٣- البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

١٤- البلاغة ٢- المعاني، لمناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

١٥- البيضاوي، عبد الله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت دار إحياء التراث العرب، ١٤١٨هـ.

١٦- الخازن، علي بن محمد، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، للخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٧- الخنين، ناصر بن عبد الرحمن، "النظم القرآني في آيات الجهاد"، ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٦هـ.

١٨- الدرة، محمد علي، "تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه"، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٣٠هـ.

١٩- درويش، محيي الدين بن أحمد، "إعراب القرآن وبيانه"، ط٤، حمص، سورية، دار الإرشاد للشؤون الجامعية.

٢٠- الرازي، محمد بن عمر، "مفاتيح الغيب"، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٢١- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، ط١، دمشق، سورية، دار الفكر، ١٤١١هـ.

٢٢- الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، ضبطه وصححه ورتَّبه: مصطفى حسين أحمد، ط٣، القاهرة، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ.

٢٣- السامرائي، فاضل بن صالح،" أسرار البيان في التعبير القرآني"، ١٤٣١هـ.

٢٤- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٢٥- السمين، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.

٢٦- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٤، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٢٧- الشحات، أبوستيت، "دراسات منهجية في علم البديع"، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٨- الشوكاني، محمد بن علي، "فتح القدير"، ط١، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٢٩- صافي، محمود بن عبد الرحيم، "الجدول في إعراب القرآن الكريم"، ط٣، دمشق، بيروت، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، ١٤١٦هـ.

٣٠- الطيبي، "فتوح الغَيْب في الكشف عن قناع الرَّيْب"، تحقيق: إياد محمد الغوج، ط١، دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ.

٣١- العثيمين، محمد بن صالح، "تفسير القرآن الكريم"، ط١، الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ هـ.

٣٢- العجلان، أسماء محمد، "الآيات القرآنية النازلة في عمر بن الخطاب ﷺ وموافقاته"، مجلة تعظيم الوحيين، العدد الرابع عشر، رجب ١٤٤٥هـ.

٣٣- عطية بن محمد سالم، "تفسير سورة الحجرات"، مصدر الكتاب: دروس صوتية فرَّغها موقع الشبكة الإسلامية.

٣٤- العمادي، محمد بن محمد، "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣٥- العيمين، محمد بن صالح، "تفسير ابن عثيمين"، ط١، الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ.

٣٦- القشيري، مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ.

٣٧- الميداني، عبد الرحمن بن حسن، "البلاغة العربية"، ط١، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٦هـ.

٣٨- النيسابوري، الحسن بن محمد، "تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

٣٩- الهلال، محمد، "تفسير القرآن النَّرِي الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي"، دار المعراج، ١٤٤٣هـ.

٤٠- Abū Zahrah، Muḥammad ibn Aḥmad، Zahrah al-tafāsīr، Dār al-Fikr al-ʿArabī.

٤١- Abwstyt، al-Shaḥḥāt، Dirāsāt manhajīyah fī ʿilm al-Badīʿ، Ṭ١، ١٤١٤h.

٤٢- al-ʿAjlān، Asmāʾ Muḥammad، al-āyāt al-Qurʾānīyah al-nāzilah fī ʿUmar ibn al-khiṭāb ﷺ wa-muwāfaqatih، Majallat Taʿẓīm al-waḥyayn، al-ʿadad al-rābiʿ ʿashar، Rajab ١٤٤٥h.

٤٣- al-Alūsī، Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh، Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa-al-Sabʿ al-mathānī، taḥqīq : ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭīyah، Ṭ١، Bayrūt، Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah، ١٤١٥h.

٤٤- al-Bayḍāwī، ʿAbd Allāh ibn ʿUmar، Anwār al-tanzīl wa-asrār al-taʾwīl، llbyḍāwy، taḥqīq : Muḥammad ʿAbd al-Raḥmān al-Marʿashlī، Ṭ١، Bayrūt Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArab، ١٤١٨h.

٤٥- al-Biqāʿī، Ibrāhīm ibn ʿUmar، naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar، al-Qāhirah، Dār al-Kitāb al-Islāmī.

٤٦- al-Bukhārī، Muḥammad ibn Ismāʿīl، Ṣaḥīḥ al-Bukhārī، taḥqīq : Muṣṭafá al-Bughā، ṭ٥، Dimashq، Dār Ibn Kathīr wa-Dār al-Yamāmah، ١٤١٤H.

٤٧- al-Durrah، Muḥammad ٠ Alī، tafsīr al-Qur٠ ān al-Karīm wa-i٠ rābuh wa-bayānih، Ṭ١، Dimashq، Dār Ibn Kathīr، ١٤٣٠h.

٤٨- al-Ghawj، Iyād Muḥammad، Fattūḥ alghayb fī al-kashf ٠ an qinā٠ alraayb، llṭyby، Ṭ١، Dubayy، Jā٠ izat Dubayy al-Dawlīyah lil-Qur٠ ān al-Karīm، ١٤٣٤h.

٤٩- al-Hararī، Muḥammad al-Amīn ibn ٠ Abd Allāh، tafsīr Ḥadā٠ iq al-rūḥ wa-al-rayḥān fī rawābī ٠ ulūm al-Qur٠ ān،، ishrāf wa-murāja٠ at : Hāshim Muḥammad ٠ Alī ibn Ḥusayn Mahdī، Ṭ١، Bayrūt، Dār Ṭawq al-najāh.

٥٠- al-Hilāl، Muḥammad، tafsīr al-Qur٠ ān althaarī al-Jāmi٠ fī al-i٠ jāz al-bayānī wa-al-lughawī wa-al-٠ ilmī، Dār al-Mi٠ rāj، ١٤٤٣h.

٥١- al-Khāzin، ٠ Alī ibn Muḥammad، Lubāb al-ta٠ wīl fī ma٠ ānī al-tanzīl، llkhāzn، taṣḥīḥ: Muḥammad ٠ Alī Shāhīn، Ṭ١، Bayrūt، Dār al-Kutub al-٠ Ilmīyah، ١٤١٥h.

٥٢- al-Khunayn، Nāṣir ibn ٠ Abd al-Raḥmān، al-nuẓum al-Qur٠ ānī fī āyāt al-jihād، Ṭ١، al-Riyāḍ، Maktabat al-Tawbah، ١٤١٦h.

٥٣- al-Maydānī، ٠ Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan، al-balāghah al-٠ Arabīyah،، Ṭ١، Dimashq، Bayrūt، Dār al-Qalam، al-Dār al-Shāmīyah، ١٤١٦h.

٥٤- al-Nīsābūrī، al-Ḥasan ibn Muḥammad، tafsīr gharā٠ ib al-Qur٠ ān wa-raghā٠ ib al-Furqān، taḥqīq : Zakarīyā ٠ Umayrāt، Ṭ١، Bayrūt، Dār al-Kutub al-٠ Ilmīyah، ١٤١٦h.

٥٥- al-Qushayrī، Muslim ibn al-Ḥajjāj، Ṣaḥīḥ Muslim، taḥqīq : Muḥammad Fu٠ ād ٠ Abd al-Bāqī، al-Qāhirah Maṭba٠ at ٠ Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh، ١٣٧٤h.

٥٦- al-Rāzī، Muḥammad ibn ٠ Umar، Mafātīḥ al-ghayb، ṭ٣، Bayrūt، Dār Iḥyā٠ al-Turāth al-٠ Arabī، ١٤٢٠h.

٥٧- al-Sa٠ dī، ٠ Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir، Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān، taḥqīq : ٠ Abd al-Raḥmān ibn Mu٠ allā al-Luwayḥiq، Ṭ١، Mu٠ assasat al-Risālah، ١٤٢٠h.

٥٨- al-Sāmarrā٠ ī، Fāḍil ibn Ṣāliḥ، Asrār al-Bayān fī al-ta٠ bīr al-Qur٠ ānī، ١٤٣١h.

٥٩- al-Samīn، Aḥmad ibn Yūsuf، al-Durr al-maṣūn fī ٠ ulūm al-Kitāb al-maknūn، taḥqīq : Aḥmad Muḥammad al-Kharrāṭ، Dimashq، Dār al-Qalam.

٦٠- al-Shawkānī، Muḥammad ibn ٠ Alī Fatḥ al-qadīr، Ṭ١، dmshq-Bayrūt، Dār Ibn Kathīr، Dār al-Kalim al-Ṭayyib، ١٤١٤h.

٦١- al-Suyūṭī، ٠ Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr، al-Itqān fī ٠ ulūm al-Qur٠ ān، taḥqīq : Muḥammad Abī al-Faḍl Ibrāhīm، ṭ٤، Miṣr، al-Hay٠ ah al-Miṣrīyah al-٠ Āmmah lil-Kitāb، ١٣٩٤h.

٦٢- al-٠ Uthaymīn، Muḥammad ibn Ṣāliḥ، tafsīr al-Qur٠ ān al-Karīm، Ṭ١، al-Riyāḍ، Dār al-Thurayyā lil-Nashr wa-al-Tawzī٠ ، ١٤٢٥ H.

٦٣- al-ʿUthaymīn، Muḥammad ibn Ṣāliḥ، tafsīr Ibn ʿUthaymīn، Ṭ١، al-Riyāḍ، Dār al-Thurayyā lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ، ١٤٢٥h.

٦٤- al-Zamakhsharī، Maḥmūd ibn ʿAmr، al-Kashshāf، ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu wrttabh : Aḥmad، Muṣṭafá Ḥusayn، ṭ٣، al-Qāhirah، Dār al-Rayyān lil-Turāth ١٤٠٧h.

٦٥- al-Zuḥaylī، Wahbah ibn Muṣṭafá، al-tafsīr al-munīr fī al-ʿaqīdah wa-al-sharīʿah wa-al-manhaj، Ṭ١، Dimashq، Sūrīyah، Dār al-Fikr، ١٤١١h.

٦٦- Darwīsh، Muḥyī al-Dīn ibn Aḥmad، iʿrāb al-Qurʿān wa-bayānih، ṭ٤، Ḥimṣ، Sūrīyah، Dār al-Irshād lil-Shuʿūn al-Jāmiʿīyah.

٦٧- Ibn ʿĀdil، ʿUmar ibn ʿAlī، al-Lubāb fī ʿulūm al-Kitāb، li-Ibn ʿĀdil al-Ḥanbalī، taḥqīq : ʿĀdil Aḥmad ʿAbd al-Mawjūd / ʿAlī Muḥammad Muʿawwaḍ، Ṭ١، Bayrūt، Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah، ١٤١٩ H.

٦٨- Ibn ʿArafah، Muḥammad ibn Muḥammad، tafsīr Ibn ʿArafah،، Ṭ١، Bayrūt، Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah، ٢٠٠٨ M.

٦٩- Ibn ʿĀshūr، Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad، al-Taḥrīr wa-al-tanwīr، Tūnis، al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr، ١٩٨٤h.

٧٠- Ibn Fāris، Aḥmad ibn Fāris، Maqāyīs al-lughah، taḥqīq : ʿAbd al-Salām Hārūn، ṭ٣، Bayrūt، Dār al-Fikr، ١٣٩٩h.

٧١- Ibn Ḥayyān، Muḥammad ibn Yūsuf، al-Baḥr al-muḥīṭ، taḥqīq : Ṣidqī Muḥammad Jamīl، Bayrūt، Dār al-Fikr، ١٤٢٠h.

٧٢- Ibn Kathīr، Ismāʿīl ibn ʿUmar، tafsīr al-Qurʿān al-ʿAẓīm، taḥqīq : Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn، Ṭ١، Bayrūt، Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah، ١٤١٩h.

٧٣- Jāmiʿat al-Madīnah al-ʿĀlamīyah، al-balāghah ٢ – al-maʿānī، li-manāhij Jāmiʿat al-Madīnah al-ʿĀlamīyah، Jāmiʿat al-Madīnah al-ʿĀlamīyah.

٧٤- Muḥammad، al-ʿImādī Muḥammad، tafsīr Abī al-Saʿūd = Irshād al-ʿaql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm، Bayrūt، Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

٧٥- Ṣāfī، Maḥmūd ibn ʿAbd al-Raḥīm، al-jadwal fī iʿrāb al-Qurʿān al-Karīm، ṭ٣، Dimashq، Bayrūt، Dār al-Rashīd،، Muʿassasat al-īmān، ١٤١٦h.

٧٦- Sālim، ʿAṭīyah ibn Muḥammad، tafsīr Sūrat al-ḥujurāt، maṣdar al-Kitāb : Durūs ṣawtīyah fraaghhā Mawqiʿ al-Shabakah al-Islāmīyah.